أسبوعية مستقلة تصدر عن شباب إدلب وريفها |السنة الثالثة |العدد 99| 31 كانون الثاني 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine zaiton.mag@gmail.com www.zaitonmag.com

عندما بكى النهر

الذكرى الثانية لمجزرة النهر في حلب

في العدد :

المراصد جنود الواجب	ص4
شعبة المعلومات.. استنساخ لأجهزة أمن النظام	ص5
إسلام الحقّ وإسلام الدق	ص6
حوار مع مخرج فلم دفاتر العشاق إياد جرود	ص8

عندما بكى النهر

الذكرى الثانية لمجزرة النهر في حلب

في أحد الصباحات المشؤومة فوجئ الناس في حي بستان القصر الثائر في حلب بمشهد مروع حيث انتشرت عشرات الجثث على ضفتي نهر قويق، عشرات الجثث لشبان ونساء واطفال وشيوخ، كلهم كانوا مقيدي الايدي الى الخلف وتم اعدامهم برصاصة من الخلف من مسافة قريبة.

كان ذلك في 2013/1/29

خرج الناس لرؤية مشهد من أقسى مشاهد الثورة السورية حيث كانت القوات التابعة للأسد قد قامت بتنفيذ إعدامات بعشرات المدنيين ورميهم في أعلى النهر لتصل إلى مناطق الثوار طافية على مياهه المختلطة بدمائهم، وكانت أجساد عشرات الشهداء كرسالة ترهيبية لأهلهم أننا سنستمر بقتل أبناءكم حتى ترجعوا عن تأييد الثورة.

وقد تمكن عدد من المحامين المتخصصين بحقوق الإنسان والمختصين بالتحقيق الجنائي والقضائي من توثيق أكثر من 220 ضحية اعتقلتهم قوات الأسد ومن ثم قتلتهم ورمتهم في نهر قويق بمدينة حلب.

وعقد المعهد السوري للعدالة مؤتمرا صحفيا اليوم تحت عنوان «النهر إن حكى» في ذكرى المجزرة تحدث فيه عن جثث المعتقلين التي رمتها قوات الأسد بعد تعذيبها والتنكيل بها في نهر قويق

ففي تاريخ 29 / 1 / 2013 ظهرت العديد من الجثث طافية على سطح نهر قويق بمدينة حلب في حي بستان القصر والذي كان يسيطر عليه عناصر الجيش الحر قادمة من المناطق التي تسيطر عليها قوات الأسد.

وكان عدد الجثث التي تم انتشالها في اليوم الأول ما يقارب التسعين جثة، بينهم أطفال وشيوخ وجميعهم مكبلو الأيدي ومكممو الأفواه، وعلى مدار 45 يوما كانت الجثث تتوالى إلى أن بلغت ما يزيد عن 220 جثة، والتي تم انتشال بعضها بعد عبورها حدود المدينة لتصل إلى الريف الجنوبي لمسافة تزيد عن 20 كم، بينهم خمس جثث لنساء قد تم اغتصابهن وتعذيبهن وقتلهن.

واستطاع المعهد من خلال الأطباء الشرعيين وخبراء الأدلة الجنائية، وشهود الرابطة والتواصل مع عائلات الضحايا من توثيق ما حدث، وتم الحصول على أكثر من خمسين إفادة حول مكان وتاريخ فقدان أو اعتقال الضحية، وأسباب الاعتقال والجهة المسؤولة عنه، بالإضافة إلى تسجيل اعترافات بعض المشاركين في الجريمة من قوات الأسد.

وخلال المؤتمر، تم عرض العديد من الصور ومقاطع الفيديو التي تظهر كيف تم انتشال الجثث ونقلها ومن ثم معاينتها.

وقال مدير المعهد السوري للعدالة عبد القادر مندو إن: «المعهد لديه أدلة على أن أكثر من 220 شخصا تم قتلهم ورمي جثثهم في نهر قويق، وكل جثة تعرضت لطلق ناري في الرأس وأغلبها من الخلف ومن مسافة قريبة وهذا يدل على إعدامها ميدانيا، كما أن العديد من الجثث ظهرت عليها آثار الضرب والتعذيب وإصابات أفضت للموت»،

مشيرا إلى أن «إصدار أمر القتل بحق المعتقلين كان يتم في الأيام الأولى عن طريق أحد الضباط في قوات الأسد، ومن ثم انتقل الأمر إلى قادة المليشيات التابعة لقوات الأسد الشيعية والطائفية التي كانت تتواجد في مدينة حلب».

وأكد أن «عملية القتل ممنهجة وبطريقة واحدة متشابهة بين جميع الجثث»، مضيفا إنه «لم نتقدم بطلب إلى محكمة الجنايات الدولية لإدانة قوات الأسد حتى هذه اللحظة وذلك بسبب عدم قبول نظام الأسد المدعوم من روسيا بدخول اللجنة القضائية إلى الأراضي السورية، التي تسبق إدانة أي محاكمة تقيمها محكمة الجنايات»،

ونشرت الجزيرة عدة شهادات لاهالي الحي واقرباء الشهداء جاء فيها:

وفي المنطقة التقينا رجلا ستينيا اسمه محمد عزيز بن عمر من حي الكلاسة القريب من النهر، قال إنه ساعد قبل نحو أسبوعين في انتشال 22 جثة قبل أن يتدخل شباب الحي للقيام بهذا الدور، مشيرا إلى أن قناصا من قوات النظام كان يطلق النار على المنقذين.

وأضاف أنه تم عرض الجثث في الحي للتعرف عليها. أما الجثث التي لم يتم التعرف عليها فدُفنت في قبر جماعي في حديقة عامة.

ويقول والحسرة بادية عليه «كنت أعتبر أن بشار الأسد جيد وعلينا انتظاره وإعطاؤه الفرصة, ولكن اتضح أنني كنت مخطئا»، واستغرب كيف يمكن أن يقدم جيش البلد على قتل أبناء البلد.

وعزز هذه الشهادة شخص أشار لنا بكنيته, وهو أبو محمد, الذي سمح بتصويره عكس الغالبية التي رفضت التصوير. وقال إن سوق الهال الواقع تحت سيطرة النظام فيه منطقة اسمها المشارقة يعتقل الشباب فيها ويعدمون، مشيرا إلى اكتشاف جثث يعود بعضها لنساء وأطفال هناك.

وروى لنا قصة طفل عمره عشر سنوات ذهب لإحضار عبوات للبنزين لإعاشة أهله من بيع المحروقات فإذا به يرجع جثة هامدة.

وقال إن أول دفعة من الجثث ضمت 172 شخصا، وبعد ذلك بعد توافدت الجثث بأعداد أقل وبشكل شبه يومي إلى ما قبل أيام.

وذكر لنا أن أهالي بعض المختفين سألوا فرع المخابرات الجوية عن أبنائهم، فطلبوا منهم مبالغ مالية للإفراج عنهم، ولكنهم أبلغوهم بأنهم لا يتوفرون على المبلغ المطلوب ليجدوا جثث أبنائهم في اليوم التالي في النهر.

قصة مأساوية أخرى يرويها فراس البدر (23 سنة) الذي قتل رفيقه وصديق عمره عندما ذهب على دراجته النارية لحي المشارقة لإحضار بعض الحاجيات للأهالي لقاء مبلغ زهيد يتقاضاه.

وتفاجأ قبل أسابيع بجثة صديقه تستخرج من النهر مكبل اليدين إلى الخلف وفمه مغلق, بينما سرقت مفاتيح المخزن الذي يضع فيه البضاعة التي يشتريها, ومبلغ 13 ألف ليرة سورية (تساوي الآن نحو 120 دولارا).

وتحدث فراس بألم ممزوج برغبة في الانتقام لفقد رفيقه الذي كان طالبا بكلية الآداب في جامعة حلب ولم يكن له أية صلة بالثوار.

وروى لنا أن والده المقيم في حسرجة بريف حلب انضم بعد ذلك للجيش الحر, وأسس كتيبة أطلق عليها كتيبة يوسف عويضة باسم ابنه المقتول.

أما عبد الفتاح كربوج فقد قتل ابن عمه (37 سنة) قبل نحو أسبوعين بنفس الطريقة حينما ذهب لشراء مكاييل لبيع المحروقات. إلا أن هذا الأخير وجد مقتولا بطريقة وحشية بإطلاق النار داخل فمه مما أدى لانفجار جمجمة رأسه من الخلف.

اشتباكات بين النصرة وحزم والاخيرة تنضم الى الجبهة الشامية

بيروت (رويترز)

- قال المرصد السوري لحقوق الإنسان وحركة حزم المدعومة من الغرب إن نطاق القتال الدائر في شمال سوريا بين الحركة وجبهة النصرة جناح تنظيم القاعدة في سوريا اتسع يوم الجمعة وامتد من محافظة حلب إلى إدلب المجاورة.

وكانت الاشتباكات قد بدأت يوم الخميس عندما سيطرت جبهة النصرة على مواقع تهيمن عليها حركة حزم إلى الغرب من حلب لتهدد بذلك واحدا من الجيوب القليلة المتبقية للحركة.

وقال مسؤول من حركة حزم في اتصال تليفوني إن الاشتباكات امتدت إلى إدلب وإن حركته استعادت بعض المناطق التي سبق وأن سيطرت عليها جبهة النصرة.

وأضاف «يدور قتال الآن في إدلب في منطقة جبل الزاوية.» ومضى قائلا إن الجماعتين تتقاتلان أيضا في مدينة الأتارب الواقعة في محافظة حلب على بعد 20 كيلومترا من الحدود مع تركيا.

وذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان الذي يتابع تطورات الحرب أن قتالا عنيفا دار خلال الليل في غرب حلب ومناطق متداخلة بين حلب ومحافظة إدلب حيث أخرجت جبهة النصرة فصائل معارضة من أجزاء كثيرة في أكتوبر تشرين الأول.

وأضاف المرصد أن حركة حزم استعادت بعض النقاط الصغيرة في إدلب.

وحركة حزم واحدة من عدد قليل من جماعات المعارضة غير الجهادية التي تحارب الرئيس السوري بشار الأسد في شمال سوريا الذي تسيطر على معظمه جبهة النصرة والدولة الإسلامية التي خرجت من عباءة القاعدة وتسيطر تقريبا على ثلث سوريا.

وقالت جبهة النصرة إنها اضطرت إلى التحرك بعد أن احتجزت حركة حزم اثنين من مقاتليها واستولت على أسلحة ومكاتب تابعة لها. وأضافت أن قواتها استولت من حركة حزم على قاعدة الشيخ سليمان التي تبعد حوالي 25 كيلومترا إلى الغرب من حلب يوم الخميس.

وقال نوح بونسي محلل شؤون سوريا في مجموعة الأزمات الدولية «من الدقة على الأرجح النظر إلى هذا على أنه في إطار سعي النصرة إلى توسيع المناطق التي تهيمن عليها في إدلب وحلب على حساب الفصائل التي يدعمها الغرب والتي تسعى (الجبهة) إلى طردها تدريجيا من الشمال.»

ودعت جماعة أحرار الشام الإسلامية التي عملت مع الجانبين إلى وقف الاشتباكات ودعت إلى حسم الخلافات أمام محكمة شرعية مستقلة.

وقالت أحرار الشام في بيان نشر في حسابها على موقع تويتر «تدعو حركة أحرار الشام كلا من جبهة ثوار سوريا وجبهة النصرة إلى الوقف الفوري للاقتتال الحاصل والاحتكام لقضاء شرعي مستقل.»

وأضافت أنها مستعدة لإعادة حقوق مقاتلي جبهة النصرة التي يقولون إن حزم أخذتها.

وتحارب كل من جبهة النصرة وحركة حزم التابعة للجيش السوري الحر قوات الأسد.

وفي حلب نقل المرصد السوري عن بيان للفرقة 16 بالجيش السوري الحر قوله إن جبهة النصرة احتجزت 11 من مقاتليها عندما كانوا في طريقهم للقتال في حي الأشرفية بالمدينة. ودعت الفرقة جبهة النصرة إلى إطلاق سراح المقاتلين مع غروب الشمس والالتزام بهدنة محلية.

وأضاف المرصد أن جبهة النصرة وفصائل إسلامية أخرى قاتلت قوات الحكومة السورية أيضا في منطقة جبل الأربعين في غرب إدلب يوم الجمعة. وقال التلفزيون السوري الرسمي إن الجيش السوري صد عددا من «الهجمات الإرهابية».

وحصلت حركة حزم على ما تقول إنها مساعدات عسكرية ضئيلة من دول أجنبية معارضة للأسد من بينها صواريخ مضادة للدبابات أمريكية الصنع. وخسرت الحركة أراضي لصالح الجهاديين الأفضل تسليحا وتدريبا.

وأدى ضعف تيار المعارضة الرئيسي لتعقيد الجهود الدبلوماسية لإنهاء الصراع الذي أودى بحياة نحو 200 ألف شخص

أعلنت كتائب الجبهة الشامية -إحدى فصائل المعارضة السورية- عن انضمام حركة حزم إلى صفوفها أمس الجمعة، وذلك تزامنا مع اندلاع اشتباكات بين الحركة وجبهة النصرة في مناطق بريف حلب.

وفي بيان صدر مساء الجمعة وحصلت الجزيرة نت على نسخة منه، أعلنت الجبهة الشامية عن «انضمام حركة حزم بكل مكوناتها إلى صفوفها، على الأسس والمبادئ التي تشكلت عليها الجبهة الشامية».

ودعت الجبهة الشامية في بيانها بقية الفصائل إلى حل خلافاتها مع حركة حزم عن طريق قيادة الجبهة نفسها ومكتبها القضائي، مشددة على ضرورة حل النزاعات «بروح من الأخوة» وتوجيه السلاح نحو النظام السوري دون غيره.

ويأتي خبر الاندماج بعد أيام من تجدد القتال بين جبهة النصرة وحركة حزم في ريف حلب، حيث ذكر ناشطون أن النصرة هاجمت مقرات للحركة بهدف تحرير عنصرين محتجزين لديها.

وسبق أن أعلنت الجبهة الشامية في بيان عن تشكيل قوة فصل بين الطرفين لإيقاف الاقتتال الحاصل بينهما وتحكيم الطرفين إلى الشريعة، لكن ناشطين ميدانيين أكدوا تواصل القتال.

يذكر أن الجبهة الشامية تشكلت قبل أسابيع بعد اندماج كل من: الجبهة الإسلامية، وحركة نور الدين زنكي، وتجمع «فاستقم كما أمرت»، وجبهة الأصالة والتنمية.

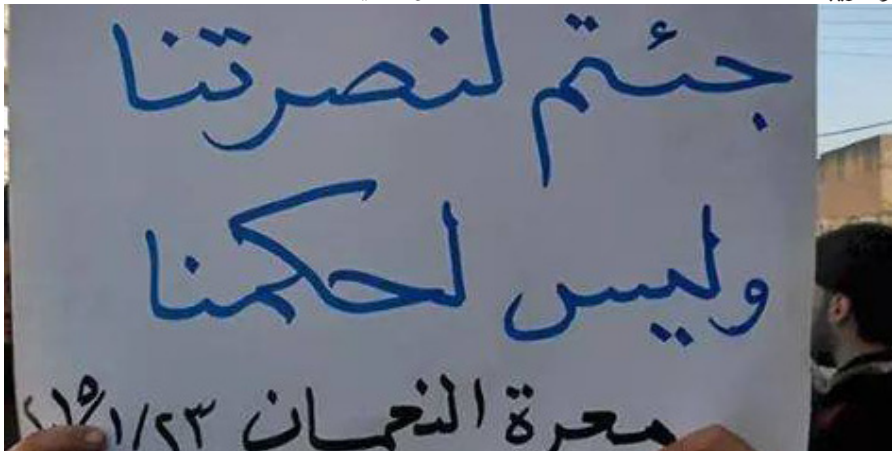

المراصد جنود الواجب

محمد العبد الله

الحاجة أم الاختراوالبعيدٌ دأبت الأجيال على اللهج بها إلى أن وصلت طاحونة الزمن إلى باب الشعب السوري , الذي لم يبخل عليه القدر بشتى صنوف الألم ,

فمن خذلان القريب والبعيد , إلى التفنن والإبداع في ابتكار وسائل التعذيب التي لا تخطر على بال شيطان تقوم به هذه العصابة الحاكمة .

ومن جملة إنتاجاتها التي بات يحسدها نيرون وهتلر على براءات اختراعها : البراميل المتفجرة , فمن حيث الكلفة تعتبر بخسة الثمن مقارنة بغيرها من الأسلحة , وهي لا تتعدى وعاءاً معدنياً كبيراً يُحشى بمواد شديدة الانفجار , ويوضع فيها كميات من قطع الحديد لكي تكون أقدر على الإيذاء , ثم تحمله الطائرة لتزحف به فوق المدينة العامرة التي تضج بالحياة , فتعاقبها على أنفاسها وأملها بالحياة ' لتحيل حياتها موتا وبناءها دمارا وأملها ألما.

يحدثني عبد العزيز (27عاما) انه زار كفر بطيخ احدى قرى ادلب , وبينما هو هناك بدأ ت السماء ترعد لتخرج طائرة من رحمها تبصق الجحيم على كل حياة في القرية , وبينما كنا في معمعة لهيبها تبدى لنا من بين الدخان مفجوع نزل البرميل في منزله يبحث تارة تحت الحجارة المتناثرة , وتارة في الحفر الوليدة عن أشلاء حياة ينبض بها أبناؤه , ليقف على جثة مقطوعة الرأس فيصرخ بلا صوت انه أحمد ابني الوحيد احمد , هنا يتوقف الزمن , وتعجز الحياة عن مواكبة الحياة , وينسى الإنسان حتى معاتبة الرب , فيختار القلب أقصر الطرق وأسهلها , ويسقط الأب فوق جثة ابنه , نعم لقد فارق الحياة.

وفي ظل ما عرف به هذا الشعب العظيم من إصراره على الحياة بدأت حاجاته تفرخ اختراعات تقلل عنه جحيم السماء , فهرع الكثير من أبناء هذا الأمة المغوارة ليخترعوا ضمن ما توفر لهم شبكات تواصل أطلق عليها اسم المراصد ,

فيصعد المتطوع مكانا عاليا مشرفا يحمل معه جهاز اللاسلكي الذي يتنصت فيه على مكالمة الطيار مع قيادته , وعليه يحذر الأهالي والمقاتلين عن طريق ترددات متعارف عليها بما ينوي الطيران فعله , كما يؤمن تواصلاً مع مراصد أخرى وبهذه الطريقة يتم ربط كل المناطق فيعلم الأهالي بقدوم طائرات الموت قبيل فترة تمكنهم من الخروج من مدنهم وقراهم أو النزول الى كهوف ومغارات تحميهم لظى ذاك الموت القادم من السماء , وقد يزيد الأمر بهذه المراصد ليصل إلى زف بشارات تتضمن انتصارات في أماكن مختلفة , أو تحذيرات وقعت في مطباتها أماكن أخرى.

يقول المرصد (أ .ش) أنا مدني آلمني ما حل ببلدي وهوانه على الأمم , فقررت أن أنذر نفسي للتخفيف ما استطعت عن شعبي المنكوب , وتبدأ قصتي منذ عامين عندما نزل برميل بالقرب من بيتنا حصد حياة أغلى أبنائي علي , فمن يدري لو كان هناك مرصد حينها لتمكنت من استدعائه والاختباء به من براثن الموت , ولهذا قررت أن أؤمن للناس ما حرمت منه , فأخرج كل يوم من الصباح الباكر أتلفح بعباءتي وأمسك قبضتي وأتنصت على مكالمات الطيار , وتحذيرات المراصد الأخرى لأبثها لأبناء منطقتي وأنقلها إلى المراصد الأخرى البعيدة ,

فقد تمكنا بفضل اللّه من ربط كافة المحافظات ببعضها, تخرج الطائرة من حلب فتبدأ المراصد بنقل الخبر على هيئة جنود سليمان حتى يصل الخبر إلى العاصمة وهكذا دواليك,

وقد نصبح أداة للتواصل بين الأهالي فكثيراً ما يُنقل جريح سقط في برميل إلى تركيا دون علم ذويه فيكون إبلاغ أهله من مهمتنا , وقد يُطلب منا التعميم على بعض السيارات المسروقة لنتواصل مع الحواجز لكي يوقفوها ,

وقد أردف قائلا : إلا أننا نعاني من كثير من الصعوبات تتجلى معظمها في التشويش المتعمد على أصواتنا وترداتنا من قبل محطات يتحكم بها النظام أو من قبل خلايا نائمة له أو ممن لا يقدِّر فيستخدم التردد لأشياء تافهة ويشوش على أصواتنا التي كثيرا ما تكون سببا في إنقاذ حياة أو توفير د.

يقول المواطن احمد الرحمون 45 سنة لقد قدّمت لنا هذه المراصد فرصة كبيرة للحذر والاحتياط فأنا لا أستطيع أن أخرج ليلا إلا ومعي القبضة التي أستمع بها إلى صوت المراصد التي تحذرنا من الطيران الذي كثيراً ما يخرج في الليل ويستهدف أنوار السيارات , ونحن لا نسمع صوته بينما نكون سائرين في السيارة , وقد أستغيث بهم إذا ما تعرضت لمكروه ليوصلوا صوتي إلى من يقدر على مساعدتي.

ويرى (م. د) العامل بالدفاع المدني في محافظة ادلب أن المراصد وما تبذل من جهد لا يقل عزا عن الدم المبذول بين يدي وطيس المعارك.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نحني قبعاتنا أمام من رضي بمعانقة قمم التلال حرصا على دماء لا يريد لها أن تراق,

شعبة المعلومات.. استنساخ لأجهزة أمن النظام

خالد أبو الوليد

ظهر في الآونة الأخيرة داخل مدينة حلب، ضمن الأحياء المحررة، تنظيم أمني جديد يطلق على نفسه اسم «شعبة المعلومات» وهو تنظيم استخباراتي، يقوم بخطف المدنيين والعسكريين والناشطين الثوريين واتهامهم بتهم تشبه الى حد كبير التهم التي كان النظام يتهم بها النشطاء أثناء اعتقالهم مع بداية الثورة السورية المباركة.

ويقوم التنظيم بعمليات الخطف والاعتقال للكوادر الثورية الاغاثية والطبية دون أن يحرك ذلك سكينة فصائل المعارضة المسلحة التي وقفت بمعظمها موقف الساكت على تجاوزات التنظيم المرتكبة من قبل أعضائه الذين يخرجون بلباسهم الأسود ويرتدون أقنعة خشية أن يعرف أحدهم أثناء عمليات الخطف والاعتقال التعسفي.

وسرعان ما ذاع صيت شعبة المعلومات بين أوساط سكان حلب وريفها. وبلغ ذروة شهرته بعد تبنيه بتاريخ الـ 15 من شهر كانون الثاني / يناير عملية اعتقال الدكتور «سالم أبو النصر».

حيث أطلقت الشعبة ضده عدد من التهم من خلال صورة لبيان أرسلتها الشعبة الى قناة تلفزيونية محلية منها التعامل مع النظام والتعامل مع حزب الله وان أشخاصا بلغوا الشعبة أنهم شاهدوا الدكتور أبو النصر في أحد الفنادق التابعة لحركة أمل اللبنانية في لبنان، رغم أن الشعبة حينذاك لم يكن معروفاً أين مقراتها أو أماكن الحجز التي تقوم باحتجاز المعتقلين فيها، قبل أن يتم الإفراج عن الطبيب أبو النصر بعدة أيام، فضح أمر الشعبة ومعرفة قياديها ومقراتها، بالإضافة لملاحقة عناصر الشعبة لعدد من الناشطين والعاملين ببعض الصحف والمجلات التي وزعت في مدينة حلب ونشر بعض منها مقالات تضامن مع الصحيفة الفرنسية شارل ايبدو، وقامت الشعبة بنشر فيديو مصور يظهر قيام عناصر الشعبة ومقاتلين من حركة أحرار الشام الإسلامية بحرق عددا من الصحف والمجلات التابعة لشبكة السورية للإعلام المطبوع.

أمير سابق من تنظيم الدولة محققاً في الشعبة

يقود الشعبة محام يتولى قضايا حركة أحرار الشام في حلب وهو المحامي عصام خطيب الذي يعرف بتبعيته لحركة أحرار الشام الإسلامية، ويتولى التحقيق داخل الشعبة.

الشرعي أبو شعيب المصري الذي كان شرعيا لدى تنظيم «الدولة الإسلامية» وانشق عنه نتيجة خلاف مع بعض الأمراء الفاسدين، حسب ما جاء في بيان صوتي عن المصري بُث في شهر فبراير (شباط) الماضي، ووصف فيه المصري تنظيم «الدولة الإسلامية» بأنه يحوي «أفضل أخوة وأسوأ أمراء». ثم عاد المصري وذكر في بيان لاحق أن ما نسب إليه عار عن الصحة واعتذر من البغدادي وأمراء «الدولة الإسلامية» وبأنه مدين للتنظيم الذي قضى فيه أجمل أيامه.

دور الناشطين بالكشف عن الشعبة والوقوف ضدها

أصدر كل من مجلس ثوار حلب واتحاد ثوار حلب بيانا مشتركا وصف شعبة المعلومات بأنها «استنساخ لأشكال أجهزة الأمن القمعية» وطالب البيان «الجبهة الشامية» بـ«اتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة بحق هذه العصابة الفاسدة واعتبار كل من يتكتم عن معلومات خاصة بشعبة المعلومات شريكا لها في جرائمها، كما طالب البيان بتشكيل جهاز أمني يحقق الأمن للوطن والمواطن ضمن المحددات الشرعية والقانونية ووفق ميثاق الثورة»

دور الناشطين لم يتوقف عند إصدار بيان ضد الشعبة فقط، بل كان لهم الدور الكبير في الكشف عن حقيقة «شعبة المعلومات» بعد أن لفها الغموض، منذ أن ظهرت أواخر العام الماضي وباشرت عمليات الخطف ضد كوادر الثورة من مدنيين وإعلاميين، كما قاموا بالكشف عن عدد من أعمال الخطف التي قامت بها الشعبة، ولم يعرف العدد الحقيقي من حالات الخطف التي ارتكبتها الشعبة في الآونة الأخير منذ ظهورها مع بداية العام.

الشعبة تعلن تبعيتها للجبهة الشامية، والمؤسسة الأمنية تنفي

أعلنت شعبة المعلومات ومن خلال لقاء صحفي مع أحد قياديها أنها تتبع تنظيمياً وإداريا للجبهة الشامية المشكلة حديثاً في مدينة حلب، وأن الجبهة هي التي تجمع المعلومات وتقوم بتسليمها للشعبة التي تقوم بعملية «الاعتقال للمدانين» بحسب وصف المتحدث، الى أن المؤسسة الأمنية التابعة للجبهة الشامية ممثلة بقيادتها أصدرت بياناً نفت فيه تبعية الشعبة للمؤسسة الأمنية في الجبهة الشامية، دون أن يتطرق البيان الى أي تهديد أو وعيد للشعبة التي ادعت التبعية للجبهة، وهذا ما رآه ناشطون أنه محاولة التفاف من قبل الجبهة على مطالبة الناشطين بالكشف عن تبعية الشعبة، ومحاسبة من يقف خلفها مالياً وعسكرياً، كما أن البيان كان للمؤسسة الأمنية فقط، ما يترك التكهنات مفتوحة أمام الجميع، ومنها ما قيل أن الشعبة تابعة لقيادة الجبهة الشامية ولا علاقة للمؤسسة الأمنية فيها، وهذا إن صح يعكس حالة التخبط داخل الجبهة الشامية المشكلة حديثاً في حلب.

تخوف من استمرار الخطف في حلب المحررة

من جهة أخرى أعرب ناشطون عن تخوفهم من انتشار أكبر لحالات الخطف التي تقوم بها الشعبة، واعتبر الناشطون أن وجود الشعبة يعزز حالة اللاستقرار في المناطق المحررة، ما يدفع بالكثير من الناشطين للسفر الى خارج المدينة.

وأفاد ناشطون أن الشعبة أفرجت عن الطبيب أبو النصر شريطة إعلامهم مكان إقامته كونه لم يقدم إثباتات تدحض التهم الموجهة إليه، كما يفتح بقاء الشعبة الباب مفتوحاً لحالات الخطف والاعتقال التعسفي لباقي الفصائل، وإلصاق الأمر بالشعبة ليبقى مصير المخطوفين مجهولاً، كما أن حلب قد ضاقت بممارسات شعبة المعلومات التي أعادت للأذهان أعمال الخطف التي كان يقوم بها تنظيم «الدولة الإسلامية» في حلب.

وقد أعاد اسم شعبة المعلومات للأذهان اسم «فرع شعبة المعلومات» التابع للنظام، مع فارق جوهري في مهمة الثاني الذي يتبع لفرع أمن الدولة في دمشق ويتولى عمليات الرصد لوسائل الإعلام والاتصال ومراقبة الصحافيين والإعلاميين وفق تقنيات عالية.

إسلام الحقّ وإسلام الدق

اياد الحسن

(لعمى شو دمه كتير)

عبارة التعجب هذه أطلقها الشيخ بعد أن احتزّ شيخ آخر بسكينه الرقبة وبعد أن أعياه الجهاد وهو يحاول أن يفصل الرقبة عن الجسد لتأتيه التعليمات من الشيخ الآخر بقوله: «دقللو رقبتو دق يا شيخ»

هذا المشهد الذي تخللته هذه الحواريّة لم يكن لقربان أو أضحية يُنحر فيها خاروف أو بقرة في مناسبة ما ليوزّع لحمها على فقراء المسلمين، ولم يكن مشهداً متخيّلاً لمن يحاول كتابة فلم من أفلام الرعب، بل هو فيديو صُوِّر في وضح النهار في ريف إدلب من قبل أحد المجموعات الإسلامويّة وكان الضحيّة رجل، نعم رجل بلحمه ودمّه الغزير الذي أبهر شيخنا الجليل.

لم يكن الرجل يرتدي الزيّ العسكريّ، ممّا يعني أنّه لم يكن مسلّحاً ولم يكن من شبّيحة النظام، ولكنّه كان يرتدي الزيّ الشعبيّ لأهل المنطقة ويلهج بلهجتهم ومن بعض العبارة التي تلفّظتْ بها فرقة «الدبيحة» أو على حدّ تعبير أحدهم «الشيخبيحه» يتبيّن أنّ جرمه هو قضاء بعض الحاجيّات لعناصر النظام المتواجدين على أحد الحواجز في المنطقة.

وبغضّ النظر، أيّاً كانت فعلته والعقاب الذي يستحق يبقى التساؤل المطروح ما الغاية المرجوّة من هكذا أساليب في العقاب؟ وبغضّ النظر عن المضمون ومعاينة حيثيّات أيّة واقعة إن كانت طلقة في الرأس أو ذبحاً بالسكين وإن كان الجاني أو العاصي حسب العرف الإسلامي يستحقّ ما ينزل به من عقاب.

ففي جميع ما ينشر ويصوّر من هكذا فيديوهات لا يتلى بشكل واضح الذنب أو المعصية التي اقترفها (اقترفتها) الجُناة بشكل مفصّل وواضح ومن ثمّ القاعدة الشرعيّة التي استندت إليها المحكمة والتي تمّ تعيين أعضائها من الفصيل المسلح التابعة له وأطلق على هيئتها (المحكمة الشرعيّة) والتي تشرّع وتحكم وفق ما يدعيه هذا الفصيل دون سواه من فهم وتفسير، فهم نصوص وأحكام الدين الإسلاميّ ولا ما معنى أن يكون على الأرض وفي مساحة جغرافيّة صغيرة أكثر من محكمة، وبالتالي أكثر من رؤية وتفسير.

إنّ عدم توضيح موجبات تنفيذ العقوبات بشكل واضح وصريح للعامّة يعني الاستهتار بالجمهور وعدم أخذ مداركه ومشاعره بالحسبان وبالتالي إقصائه عن معرفة حقيقة الأمور ولسان حال هذه المجموعات أنّ من يحكم ويقرّر وينفّذ وما عليكم يا عباد اللّه إلّا الامتثال لما أراه أنا شريعة اللّه.

وهذا لا يختلف عمّا كان يمارسه نظام الطغيان الذي انتفض عليه الشعب السوريّ والفارق أنّ الطغيان السابق كان يرتكب جرائمه في الأقبية والزنازين دون أيّ إشهار، أمّا ما يتمّ الآن من تصوير ونشر وعلى عيونكم يا عباد اللّه وباسم اللّه، الآن هذه المشاهد غالباً ما تكون نهاياتها بموت الضحيّة وإعلان أبطال الفيلم انتصارهم بالتكبير.

ولكن هنا الانتصار من طبيعة مختلفة بكلّ الحيثيّات فالأبطال هم من ادعى أنّ اللّه وهبهم صكّ يحقّ لهم بموجبه أن يمثّلوه ويقيموا شرعيته على أرضه والضحيّة عبد من عباده قد يكون أمّي لا يعرف حتّى القراءة ولا الكتابة، فما بالك بلا حدود أو قد تكون عوالق ورواسب مجتمع الاستبداد والطغيان ما زالت تفعل فعلها بما تحمله من أمراض بذاته وذواتنا جميعاً.

أمّا إن كانت الغاية من الإشهار والتصوير إرهاب عباد اللّه فيكفي هؤلاء المساكين ما يلاقونه من إرهاب عصابات الإجرام، وان كانت الغاية هي إعادة من انحرف من عباد اللّه عن جادة الصواب فالعودة إلى اللّه ومحبّة اللّه لا تكون بإرهاب عباده (ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك) ما يقرّب العباد من ربّهم والذي هو أصلاً ليس بحاجة لهم فاللّه غنيّ عن العالمين، ولكن من حكمته في تقرّب عباده وليس عبيده منه هو تسهيل وتيسير أمورهم وإظهار رحمته وعفوه ومغفرته ممّن ادّعوا تمثيله.

وإظهار الإسلام الحقّ لم يصوّر وينشر أيّاً من الفيديوهات التي تظهر بأذنها أو بأذنه بعد أن عرف عنهما ارتكاب المعاصي وبعد إرشادهما ونصحهما من قبل المحكمة الشرعيّة أو من قبل هيئة منبثقة عنها، إنّ المذنب أو العاصي قد أقرّ بذنبه وتاب إلى ربّه وعاد إلى رشده وهو الآن.

أم أنّ هذه الإنجازات وإعادة التأهيل والتي هي غاية العقاب أوّلاً وأخيراً ليست من اختصاص من ادّعوا تمثيل اللّه على أرضه وعلى عباده، لماذا هذا الإصرار على تصدير الإسلام على أنّه دين قتل وإجرام وإرهاب، ألا من مجموعة راشدة غايتها العمل على تصدير الإسلام على أنّه دين محبّة وحقّ وليس دين جزّ ودقّ.

عين العرب (كوباني) بعد التحرير تصحو على نكبة

لا يمكن لفرحة الانتصار على تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) في عين العرب (كوباني)، أن تحجب الأوضاع المزرية التي باتت عليها هذه البلدة بعد ما يقرب من أربعة أشهر من المعارك الطاحنة، والتي خلفت مئات القتلى من الجانبين، فضلاً عن تدمير أكثر من نصف منازل البلدة التي كان يقطنها نحو مئتي ألف نسمة نزحوا جميعاً إلى تركيا.

ورغم إدراكهم لدمار منازلهم وانعدام سبل الحياة في بلدتهم، حيث لا كهرباء ولا ماء ولا أية خدمات أخرى، فإن المئات من سكان المدينة لا يزالون يحتشدون على تخومها في الجانب التركي، بانتظار السماح لهم بدخولها. غير أنّ السلطات التركية تمنعهم من العبور، بانتظار استكمال تطهير المنطقة من مخلفات الحرب، وإعادة حدّ أدنى من الخدمات إليها، وهو ما أيّدته السلطات المحلية في البلدة، التي ناشدت السكان التريث في العودة إلى حين استكمال تأمين البلدة وتفكيك الألغام والقنابل التي لم تنفجر، أو تلك التي يمكن أن يكون عناصر «داعش» قد زرعوها قبل انسحابهم، فضلاً عن سحب ودفن عشرات الجثث من عناصر التنظيم التي لا تزال تحت الأنقاض.

وتبلغ مساحة عين العرب حوالى سبعة كيلومترات مربعة. وفي الطريق إليها، احتل التنظيم منذ 16 سبتمبر/أيلول أكثر من 350 قرية وبلدة في محيطها. وتمكّنت «وحدات حماية الشعب»، وهي القوة الرئيسية التي قاتلت التنظيم خلال الفترة الماضية، من السيطرة على بعض القرى مثل حلنج جنوب شرق عين العرب، بينما تتواصل الاشتباكات مع «داعش» في مناطق أخرى جنوب غرب المدينة وجنوب شرقها، حيث هناك مجموعات من عناصر التنظيم محاصرة في قرى في الريف الجنوبي الغربي للمدينة، مع تواصل غارات طيران التحالف الدولي على محيط المدينة.

نصف المدينة مدمر

وقال نائب وزير خارجية مقاطعة عين العرب (الإدارة الذاتية) ادريس نعسان، إن السلطات المحلية تطلب من الناس التريث في العودة إلى منازلهم، لأن «نصف المدينة على الأقل مدمر. ونطلب منهم عدم التوجه إلى المدينة على الفور بسبب غياب الحاجات الأساسية. لا يوجد طعام ولا أدوية، ولا كهرباء ولا ماء».

وتابع «نحتاج إلى مساعدة وإلى خبراء في إعادة الإعمار، كما نحتاج إلى أسلحة لمتابعة المعركة»، مشيراً إلى أن الحكومة المحلية قد توجه نداءً إلى المجتمع الدولي للمساعدة.

وإذا كان المجتمع الدولي، ممثلاً بالتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، قد سارع إلى تقديم مساعدة فعّالة إلى الأكراد في حربهم ضدّ تنظيم «الدولة»، كان لها الأثر الحاسم في دحر التنظيم خارج المدينة، إلا أنه من غير الواضح ما إذا كانت القوى الدولية والإقليمية لديها الاستعداد نفسه لتقديم مساعدة مماثلة على صعيد إعادة الإعمار، خصوصاً في ظل واقع أن معظم المدن السورية مدمرة، وتحتاج، بدورها، إلى إعادة إعمار.

وقد تم تشكيل مجموعتين لإعادة الإعمار في عين العرب، إحداهما تابعة للإدارة الذاتية الكردية، والثانية مستقلة، غير أنّ دخول مواد البناء إلى المدينة والتمويل وعملية إعادة الإعمار برمتها تحتاج إلى رعاية دولية.

ولعلّ أبرز الجهات المرشحة للمساهمة في إعادة إعمار المدينة إقليم شمالي العراق، الذي سبق أن أرسل مقاتلين للقتال ضدّ التنظيم في «عين العرب»، إضافة إلى تركيا التي تستضيف كل اللاجئين من المدينة وقراها، وربما ترغب في تسريع عودتهم إلى ديارهم، على الرغم من اعتراضها العلني والمتكرر على مسألة الادارة الذاتية للأكراد التي تتخوف من أن تكون مقدمة لقيام كيان كردي منفصل، يشكل إلهاماً لأكراد تركيا الذين يزيد عددهم عن 15 مليون نسمة.

الإدارة الذاتية الكردية

وهذا الهاجس هو أول ما خطر في بال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان خلال تعليقه على تمكن الأكراد من استعادة مدينة عين العرب، إذ جدد رفض «قيام حكم ذاتي كردي في شمال سورية على غرار الإقليم الكردي في شمال العراق، ويجب أن نحافظ على موقفنا الرافض من هذا الموضوع، لأن هذا الكيان سيكون مصدر مشاكل كبرى في المستقبل».

وكان هذا الموقف محل انتقاد وتشكيك من جانب العديد من القوى الكردية، باستثناء رئيس إقليم شمال العراق، مسعود بارزاني، الذي أثنى على «الدور الكبير الذي لعبته تركيا في تحرير مدينة عين العرب».

وفي هذا السياق، يقول الصحافي التركي أوكتاي يلماظ، لـ«العربي الجديد»، إنّ لدى تركيا مخاوف من أن تؤثر إقامة كيان كردي شبه مستقل في شمال سورية، على مواطنيها الأكراد، إذ هناك نزعات انفصالية عند بعضهم، خصوصاً أولئك المتأثرين بحزب «العمال الكردستاني» الذي لا يزال يحتفظ بسلاحه برغم عملية السلام الداخلي في تركيا ولديه مطالب انفصالية.

ويضيف يلماظ أن حزب «الاتحاد الديمقراطي» الموجود في سورية هو امتداد لحزب «العمال» في تركيا، و«لديه نفس النزعة الشوفينية الانفصالية الاستبدادية، وهو بهذا يشبه الأحزاب البعثية العربية، إذ قام بطرد جميع الفصائل الكردية التي تخالفه في الموقف، ولذلك فإن تركيا تعتبره تنظيماً إرهابياً».

وأعرب عن اعتقاده بأنه «على المدى المتوسط والبعيد هناك مخططات غربية وكردية لقيام كيان شبه مستقل في شمال سورية يتحالف مع الإقليم الكردي في شمال العراق، ومن ثم توحيد هذه المناطق مع مناطق في جنوبي تركيا لإقامة كيان كردي منفصل يصل إلى سواحل البحر المتوسط».

وأكد أنّ تركيا غير مطمئنة إلى النيات الأميركية، إذ شجّعت واشنطن على إقامة كيان كردي في شمال العراق رغم معارضة تركيا، إضافة إلى أن الموقف التركي المبدئي المعارض لتمزيق سورية، والداعي إلى الحفاظ عليها كدولة موحدة.

وحول إمكانية مساهمة تركيا في إعادة إعمار عين العرب، قال يلماظ إن هذه المساهمة لا بد أن تكون في إطار تفاهمات معينة، بحيث لا يتم تسليم المنطقة إلى جهات معادية لتركيا أو لا تثق بها، مشيراً إلى أن أنقرة أجبرت «الاتحاد الديمقراطي» على قبول دخول مقاتلين أكراد من شمالي العراق ومقاتلين من الجيش الحر إلى عين العرب، لكي تكسر تفرد حزب «الاتحاد الديمقراطي» في تلك المنطقة.

ولعل طريقة إدارة مدينة عين العرب من قبل القوى الكردية المسيطرة، ستكون هي المحك للموقف التركي، الذي يحظى بأهمية كبيرة في مستقبل المدينة وكيفية تطور المسألة الكردية في سورية.

من جهة ثانية، فإنه رغم الصدامات التي جرت أخيراً في الحسكة بين مقاتلين أكراد وقوات النظام السوري، غير أن شبهة التعاون مع النظام لا تزال تلاحق الأكراد، أو جزءاً منهم. وفي آخر التسريبات أن هناك وعوداً روسية بانتزاع اعتراف دستوري من النظام السوري بهيئة الإدارة الذاتية، قُدّمت للاتحاد الديمقراطي الذي يشارك في الحوار مع النظام بموسكو.

عدنان علي
العربي الجديد

حوار مع مخرج فلم دفاتر العشاق

"إياد جرود"

مهرجان روتردام السينمائي الدولي

إياد الجرود . حول الفلم

أخبار لا تسر من سوريا.

يتحدث اياد كيف عمل لمدة ثلاث سنوات على صناعة فلم عن مدينته. ويحكي عن انتقالها من الثورة الرومنسية إلى العنف في ظل التطرف والحملات العسكرية الأسدية.و الفلم يُسلط الضوء على الجانب السلمي للثورة. وذلك بتركيز أكبر على الشباب الذين كانوا يكتبون على جدران مدينتهم.

يقول اياد حين قدومه إلى (روتردام – هولندا) كان طريق السفر متعباً وصعبا بسبب حيازته على جواز سفر سوري. حيث أن مجرد حمل المرء لجواز سفر سوري في ظل الظروف الحالية سيجعله في موضع الإستفهام !.

كما أخذت إجراءات الحصول على تأشيرة الدخول من سفارة هولندا في تركيا وقتاً طويلاً.

«في مطار روتردام عاملوني معاملة مغايرة لكل الأشخاص الذين يحملون جنسيات أخرى» قال إياد. «.

في بداية الثورة في سراقب كانت المظاهرات عبارة عن طريقة سلمية للتعبير عن مطالب الناس وكانت معظم العبارات المكتوبة على الجدران عبارة عن رسائل تضامن وتشجيع : «نحن نشعر بكم» كما أي حبيب يرسل رسالة سرية ومشفرة لحبيبته. لكن الوضع تغير فجأة مع حصار الجيش الأسدي للمدينة واقتحامه لها. وبعد فترة من خروج الجيش دخل تنظيم الدولة الإسلامية.

استطاع المخرج من خلال الفلم أن يظهر الجانب السلمي للثورة قبل دخول الجيش وداعش.

في البداية كنا نكتب عبارات مليئة بالأمل والحب والسلام. مثل «بكرى أحلى».

مع مرور الوقت باتت الجمل عبارة عن كلمات تؤلم من يكتبها. وخصوصاً عندما كانت المدينة تتعرض للقصف حوالي خمسة مرات في اليوم الواحد. هنا يصبح المرء عاجزاً عن فعل أي شيء، ولايجد أن الكلمات قد تكفي لعزاء الناس في ظل الظرف الذي يعيشون .

من جوانب أخرى:

« المجتمع الدولي تدخل في جميع النواحي، وأنا لم أتوقع من المجتمع الدولي أي شيء. ولم أكن أنتظر منه أي إيجابيات أوسليبات. لأن الموضوع سوري بحت، ويجب علينا نحن السوريين أن نجد الحل. وكل شخص يقف في وجه حرية الشعب السوري فأنا أقف ضده. سواء كان الأسد أو أي طرف آخر» يقول إياد.

ويكمل: «أنا ضد المجموعات الجهادية المتطرفة التي غيرت صورة مدينتي الهادئة والجميلة إلى صورة مدينة سوداء يفرضون عليها قوانينهن وشرائعهم الخاصة المستوردة».

«المشكلة أن المرء لا يجد أي فرق بين هذه المجموعات رغم مسمياتهم المختلفة. وهم من حيث المبدأ نسخة من النظام في شكل جديد».

«معظم الأشخاص الذين انضموا للتنظيمات المتطرفة وشكلوا نواتها الأساسية هم نفسهم الذين أخرجهم النظام من سجونه , فالنظام هو أحد الجذور الأساسية للتطرف «

«وبالمناسبة إن بعض الأشخاص الذين ظهروا في الفلم وكانوا في مرحلة ما يطالبون بالحرية والدولة المدنية، انضموا لاحقاً إلى المنظمات المتطرفة، وهذا ليس بغريب إذا راعينا الظروف المحيطة المتمثلة بغياب الأمن وغياب الحل لوقت طويل والفراغ الاجتماعي والتعليمي والاقتصادي الكبير الذي عانيناه، لذلك كان خيار حمل السلاح والانضمام لهذه المجموعات المتطرفة ليس صعباً ولا مستغرباً».

فالوضع الاجتماعي الصعب دفع كثير من الناس إلى الذهاب باتجاه السلاح بشكل عام وإلى التطرف بشكل خاص. وعندما أرادت المنظمات المدينة العمل في ذلك الوقت فإنها وجدت أن الأوان قد فات.

بعض شخصيات الفلم قد غادرت سوريا ولجأت إلى دول أخرى. لأن حياتهم كانت في خطر. وذلك قبل ظهور الفلم. وبعضهم تمكن من حضور عرض الفلم هنا في روتردام.

وحتى بالنسبة لإياد فهو قد غادر سوريا إلى تركياً بسبب الخطر المحيط بحياته وحاجته لمساحة أكبر كي يستطيع إنجاز عمله . وبرأيه فإن من حق أي شخص محاولة الحفاظ على حياته ما أمكن وقد يكون الحفاظ على الحياة في مراحل تستدعي منا أن نكمل رسائلنا هو نوع من المقامة

وحول فكرة اللجوء يقول إياد: اللجوء هو حق إنساني تكفله كل الشرائع البشرية ولكن المشكلة هو أن اللجوء لم يكن خياراً للسوريين وإنما هم مجبرين على مغادرة بلادهم وطلب اللجوء في بلدان أخرى.

إياد الآن يطمح للعمل على المزيد من الأفلام التي تتحدث عن بلاده وعن الشعب السوري وتوثق هذه الفترة التاريخية من حياة سوريا.

صحيفة DAILY TIGER الهولندية

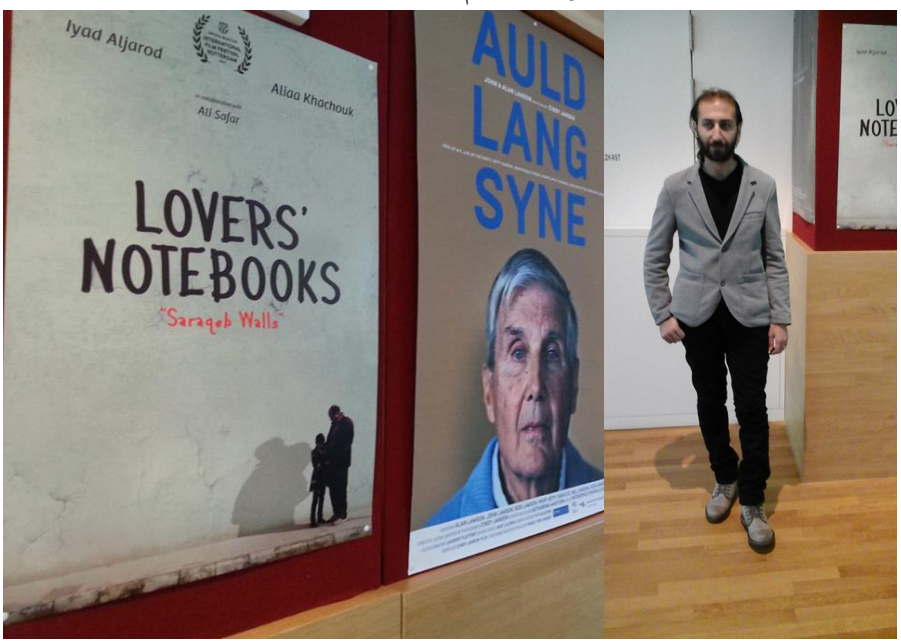

عن شهر اعتقال لدى داعش

أحمد إبراهيم

توالت الأيام على هذا المنوال: تعذيب ، جلد ، شَبْح 6 ، ذبح ، وإعدامات ، عالم بلا خصوصيات لأحد ولا أسرار. الوقت آسِن.

صباح 15\7\2014 ينادى على ثلاثة من مجموعتنا ، يُغلَق الباب خلفهم ، ولا نعرف أين ذهبوا. قيل لنا إنه أفرج عنهم ، وفي اليوم نفسه مساءً ، يتندّر أحد المعتقلين على الشرعي «أبو علي» ، مشبّهاً إياه بـ«طاش ما طاش» ، شخصية أحد المسلسلات الخليجية. في صباح يوم 16\7 تم إعدام أبو صالح الذي سبق أن قُطع إصبعه ، وهو أب لسبعة أطفال قُتل بطلقة في الرأس أمام الجميع. عند إغلاق الباب بدأت عيوننا تبحث خلسةً عن الكاميرا السرية المركّبة بالغرفة.

صباح 17\7 أُحضر أخوان من مبنى المحافظة ، يعملان بتجارة الأحذية في محل لهما عند دوار الساعة ، وهما من اللاذقية ويقيمان بالرقة منذ 1985. بدأ التحقيق أمام الجميع. كالعادة أخرج الأخ الأكبر أوراقاً ، بعضها مميهر بخاتم إسلامي ، وبعضها بجناحَي نسر «الجيش الحرّ» ، هذه من «جبهة النصرة» ، وهذه من «أحرار الشام» ، وهذه من «المجلس العسكري» ، ووو «يا شيخي والله نحنا مسلمين ، وليس لنا علاقة بالنظام!». كان كفّ الأمير أسرع إلى وجه الرجل من كلماته ، فكان أن تهاوى كومة على الأرض. حاولوا إسعافه ، لكنه كان قد مات! كان أخوه يقف وقفة عسكرية وملامحة الخشبية لا توحي بأي تعبير ، ولكن دمعة نزلت رغماً عنه. انتبه أحد الأمنين عليه وأشهر مسدّسه وقال: «لم ترحمونا بصيدنايا ، وتبكي بدّك الرحمة!؟» وأطلق رصاصة بين عيني الرجل فتناثر فتات المخ والعظم وقطرات الدم على وجوهنا ، دون أن يجرؤ أحد منا أن يُبدي أي تعبير على وجهه أو أن يمسح ما عَلِقَ على وجهه.

صباح 18\7\2013 جيء بشخص اسمه خليل الحليسي ، يعمل ممرّضاً في مشفى التوليد ، وهو من حي المشلب. تهمته لقطة فيديو على جوّاله من عام 2007 حسب أقواله تجمعه مع صديقة له ، استمتع الشيخ أبو علي بالمقطع من نظرة شَبَق في عينيه ومن طلبه من مرافِقِهِ إعادة الفيديو أكثر من مرة. ثم أصدر عليه حكم إقامة حدّ الزنا ؛ وانتهت المحاكمة بأسرع من شهوة الشيخ الشبق. اقتيد خليل لجهة مجهولة ، ثم لنرى في اليوم التالي مقطع فيديو على جوّال الشيخ الذي تعمّد أن يمرّره على كل واحد منا لنكون مرة أخرى شهوداً بُكماً على جريمة جديدة باسم الإسلام.

مساء اليوم ذاته سمعنا صراخاً وأصوات جَلد خارج غرفة التوقيف ، أعقبتها أصوات إطلاق نار كثيف. نكتشف صباح اليوم التالي ثلاث جثث قيل لنا أنها لـ«صحوات» «الجيش الحرّ» (كتائب «أحفاد الرسول») ، وقد بقيت الجثث ملقاة على الباب حتى صباح 20\7 عندما طُلب من الخمسة الأوائل من اتجاه الباب رَبْط الجثث بأمراس من النايلون المجدول ذات لون برتقالي ، ثم شدّها بثقّالات من كتل الإسمنت لها حلقة من الأعلى تستخدم لتثبيت أغطية أكداس الحبوب. حُملت الجثث المنتفخة المشوَّهة والمخترقة بأكثر من عشر رصاصات على الأقل لكل واحدة بسيارة بيك-آب لونها أبيض ، وألقي شهداء «الجيش الحرّ» في بحيرة السد.

صباح 23\7\2013 طُلب مني ومن شخص آخر أن نرعى شخصين في غرفة أخرى ، كانا وحدهما فيها ، وأطرافهما العُلوية متيّبسة ولا يستطيعان استخدامهما نتيجة شبْحهما فترة تجاوزت الخمسة عشر يوماً على ما يذكران. الرجلان كانا «يرعبان» الأكل كالأغنام ، نظراتهما زائغة ، ولا يستطيعان استخدام المرحاض من دون مساعدة ، وهما متّهمان بمساعدة «الجيش الحرّ» ، ولكنهما يقولان إن المسألة شخصية مع «أبو علي» الذي ينتمي وإياهما إلى العشيرة نفسها.

هناك تتحول إما إلى إنسان أناني بالمطلق ، لتتشبّث بما يُعتقد أنه حياة ، فتكون جلفاً قاسياً حيوانياً ، أو تكون قدّيساً في زحمة الحيونة الآدمية التي فُرضت عليك. كانت رعايتي لهذين الشخصين هي ما أعادت إليّ جزءاً من إنسانيتي المسلوبة.

مساء اليوم ذاته بعد صلاة التراويح ، فُتح الباب على غير العادة ، وجيء بكرسي وُضع في مدخل الباب مباشرة. توجّس الجميع... تبادلنا النظرات واستعدّت أجسامنا وتوتّرت لاستقبال وجبات جديدة مما تعلّمه «الأمراء» في صيدنايا. ولكن خيبة الظن فرضت نفسها ، وهي من الحالات النادرة ألا تكون هناك وجبة مسائية من الجلد والتعذيب ، ولكن ما حصل لم يقلّ ألماً عن التعذيب ، حيث أتحفنا الشيخ «أبو علي» بفهمه السياسي عبر النشرة التي استعرض فيها فهمنته السياسية على أُناس يجب أن يرى موافقتهم على كلامه بهزّ رؤوسهم ، وإعجابهم بفكره السياسي بنظرات إعجاب من عيونهم. ذكرتني كلمة الشيخ بخطابات حافظ الأسد. أعلمنا أنه منذ البارحة 22\7 بدأت معارك طاحنة بين قوات «الدولة الاسلامية» وقوات «مرتدي البَكَكَة» 7 في تل أبيض وما حولها ، وأنه تم أسر أكثر من 80 شخصاً من تل أبيض لمبادلتهم بالأمير أبو مصعب (خلف الحلوس) الذي أَسَرَتْه قوات البككة. انتابتني موجة فرح عارمة ، كدت أفضح نفسي ، لكن سرعان ما لُمت نفسي على أنانيتي تجاه عدد كبير من المدنيين مقابل حسابي الشخصي معه. إلا أن الفرحة ظلت داخلي.

قفز شيخنا فوق مواضيع عديدة دون أن ينهي موضوعاً واحداً. كان أغلب حديثه موجّهاً لنا ، أنا ورفيقي. خَتَمَ عند السحور بقصته في سجن صيدنايا. كانت مثانتي على وشك الانفجار لأنه من المستحيل أن يُسمح بالذهاب إلى دورات المياه والشيخ موجود ، رغم أنه هو ذهب عدة مرات.

تتوالى الأيام متشابهة بحرّها وألمها.

صباح 27\7\2013 أُعدم حسن الشريدة ، وهو تاجر أغنام ، بطلقة بالرأس من الخلف. وفي اليوم نفسه بعد الظهر أُعدم إياد محمود من معرّة النعمان ، وهو صاحب محل أحذية عند دوار الساعة في الرقة ، واتُّهم محمود بإخفاء الأخوين السابق ذكرهما من اللاذقية.

ظهيرة 30\7\2013 ، رأينا سيارة تاكسي سوداء تقف تحت مظلة محطة معالجة المياه المقابلة لمكان تنظيف الأواني والثياب ، حيث كنت أقوم وآخرين بأعمال السِّخرة 8 . في البداية لم أنتبه لها ، ولكن أحد رفيقي لفت انتباهي إليها: واضح تماماً أنها كانت تُعدّ للتفجير من كمية المتفجرات والأسلاك التي كانت توضع في أبوابها وكراسيها.

مساء 3\8\2013 أنهى الشيخ الأمير والي الرقة أبو لقمان مرة أخرى جلسة تحقيق علنية مع الجميع وأمام الجميع ، توافقت بحفلة نزع أظافر يد واحدة لشخص كان يعمل كحارس مدني لغابة باسل الأسد غير الموجودة سوى على الورق ، مُطالبِينَه ببندقية كان يحرس بها الغابة الوهمية. في الجلسة ذاتها طلب منا الوالي مبايعة دولة الخلافة بمساومة تذكّر بمساومات مخابرات نظام الأسد لمعتقليها. كان اختيار الجُمَل المناسبة للرفض تحدياً كبيرًا للذات ، ولردّة فعل الوالي الذي أمهلنا يومين للتفكير.

وتحدث لنا بعد ذلك عن المعركة التي بدأت أول أمس مع «أحفاد الشيطان» من صحوات «الجيش الكرّ» من «عملاء الكفار»!

صباح 5\8\2013 كان دوري بتنظيف الأسماك التي يصطادها «الإخوة السعوديون» من النهر بواسطة القنابل اليدوية ، حيث يُلقي كل واحد منهم أربعة أو خمسة قنابل بمجرى النهر بلهو أطفال وتمثيل معركة ، ولا يجمعون منه سوى الأسماك الكبيرة التي نقوم نحن المعتقلين بتنظيفها تحت حراسة أحدهم ، وهو يُتحفنا بسيرة بطولاته.

مساء 7\8\2013 كانت وقفة عيد الفطر ، الليلة الأخيرة من رمضان التي أَمِلنا أن تكون آخر أمسية لنا في سجن سدّ البعث في المنصورة. مرة أخرى ، الوالي أبو لقمان أصدر حُكمَين بالإعدام على شابّين جيء بهما صباحاً على أنهما من فصيل «أحفاد الرسول» ، كما أُفرج عن تسعة أشخاص ، وبقينا خمسة.

صباح 8\8\2013 أول أيام عيد الفطر ، لا رغبة لأحد بالحديث مع أحد. صمت مطبق تقطعه بين الفينة والأخرى أصوات عجلات سيارات الدفع الرباعي التي تعبر الساحة الخارجية.

مساء 10\8\2013 الواحدة ليلاً ، استيقظت على وخزات متلاحقة من زميلي ، فتحت عينيّ وأنا ممدّد ، وعرفته من «شحاطة» البلاستيك الصفراء التي يرتديها دائماً: الوالي أبو لقمان ، ومعه أبو علي الشرعي ، وأبو بكر أمير السد ، وأبو الهمّام الأمني! قفزت كالملسوع ، وأنا متوجّس... حُكم على حسن ورضا بالإعدام على خلفية قتلهما لشخص من المهاجرين نتيجة خلاف زواجه قسراً من أخت أحدهما. زاد خوفي عندما سأل الأمير أحد الحراس أن يأتي لنا بأماناتنا.

مرت دقائق طويلة قبل أن يأتي الحارس.

قال لنا أبو لقمان: «ما تَرَوننا فاعلين بكم؟» قالها مبتسماً ، وملتفتاً لمن حوله. حاولت أن أبتلع ريقي ، ولكني لم أنجح ، وكذلك لم أنجح في أن أرفّ بجفني. لقد أصابتنا الجَمْدة.

«اذهبوا فأنتم الطلقاء»! أحسست أني بلعت هواء الفرات كله ، وانفتح سقف الغرفة. كانت النجوم أقرب كما لم تكن يوماً. لحظات لا أعرف طولها... وعدت للواقع.

رفضت وزميلي الخروج ، فنحن اعتُقلنا بلا سبب ، ولا نريد الخروج دون معرفة لماذا اعتُقلنا. استغرب الجميع ذلك ، وأعتقد أننا فرضنا بموقفنا هذا نوعاً من النِّدّيّة التي ربما كانت لتودي بسهولة بحياتنا.

أقنعنا «أبو علي» أن نركض الى تل أبيض قبل أن!..

وخرجنا من جوف الغول.

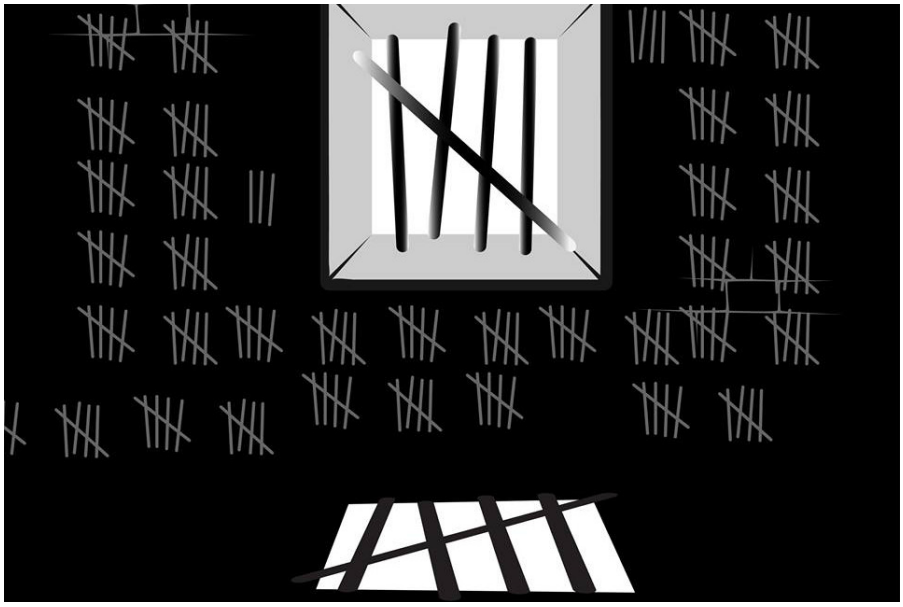

الجمهورية نت

أكرم الحوراني يكتب عن محاولة إنقلاب سليم حاطوم

اكتشاف التنظيم العسكري للقيادة القومية وفشل محاولة سليم حاطوم الانقلابية.

بعد انقلاب 23 شباط ، شعر البعثيون من أبناء جبل العرب بانهم على طريق التصفية من الحزب ومن الحكم، فقد طرد حمود الشوفي من الحزب وقبض على منصور الأطرش وشبلي العيسمي وعزل حمد عبيد الذي كان وزيرا للدفاع وكان يتوقع أن يبقى في هذه الوزارة بعد 23 شباط ولكن بدلا من ذلك ألقي القبض عليه وأحيل للمحاكمة بتهمة التمرد.

بينما بقي منيف الرزاز بعد 23 شباط مختفيا في دمشق فتمكن من تأليف لجنة عسكرية تابعة للقيادة القومية بقيادة فهد الشاعر من ابناء جبل العرب الذي كان نائبا لرئيس الأركان وقائدا سابقا للجبهة.

كنت في لبنان آنذاك، وقد أخبرني أحد الضباط المؤيدين للفريق أمين الحافظ أثناء مروره في بيروت ، ان سليم حاطوم يتصل أيضا بالقيادة القومية للاتفاق معها على القيام بانقلاب ، ولكن هذه القيادة كانت مترددة ، لأنها لا تثق به نظرا لمشاركته السابقة بانقلاب 23 شباط.

والذي لفت نظري آنذاك ما نشرته الصحف عن استقبال سليم حاطوم في مطار دمشق عند عودته من كوبا التي كان موفدا إليها يرافقه أحمد المير (من الطائفة الاسماعيلية، وكان قائدا للجبهة أثناء حرب حزيران) فقد خرجت القطعات العسكرية التابعة لحاطوم والمعسكرة حول دمشق لاستقباله، وهو أمر يخرج عن الانضباط العسكري ، ولا يجري حتى لرؤساء الدول.

ويتحدث باتريك سيل في كتابه عن حافظ أسد، عن ملابسات اكتشاف تنظيم القيادة القومية الذي يترأسه فهد الشاعر بما يلي :

« ان العقيد طلال أبو عسلي قائد القطاع الشمالي قد دعي الى جلسة شراب حضرها عدد من الضباط، وعندما حل الشراب عقدة الألسنة بدأ الضباط المؤيدون للرزاز وفهد الشاعر يشتمون صلاح جديد وحافظ أسد مما

أدى الى شجار بين الضباط، وقد تولى رئيس الأركان أحمد سويداني التحقيق في هذه القضية بعدما ألقى القبض على عدد من الضباط الذين سيقوا الى محكمة عسكرية كان حاطوم بين أعضائها، أي ان المتآمر كان يلعب دور المحقق، وقد ارتاب صلاح جديد بهذه المحاكمة، فعين لجنة تحقيق جديدة تولاها عبد الكريم الجندي رئيس جهاز المخابرات (أو الأمن القومي كما كانوا يسمونه) فعذب الضباط عذابا شديدا اعترفوا معه بانتمائهم الى تنظيم فهد الشاعر، وكان من نتيجة هذا الاعتراف أن ألقي القبض على اكثر من مئتي ضابط، كان عدد كبير منهم من الطائفة الدرزية.

بعد هذه الاحداث اختفى اللواء فهد الشاعر وهرب منيف الرزاز الى لبنان، بينما أدى تطهير الجيش من الضباط الدروز الى ضجة كبيرة في السويداء، فسافر صلاح جديد إليها مصطحبا معه رئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي وجميل شيا العضو الدرزي الوحيد في القيادة القطرية لتهدئة الأمور، .. ومع ان جناح حاطوم في المؤامرة لم ينكشف بعد، فقد كانت هذه الزيارة فرصته السانحة ليصطاد جديد والآخرين وليطيح بالحكم».

بعد فشل حاطوم ولجوئه الى عمان روى للصحف أسباب ووقائع ما جرى في السويداء بما يلي :

كل ما في الأمر اننا حاولنا تصحيح الاوضاع القائمة بعد أن انجرف حكام دمشق مع الشيوعيين الذين سيطروا على أجهزة الحكم واتخذوا من حزب البعث واجهة لهم، وعندما وجدنا أن الحكم في سورية ليس حكم البعث، وان الشيوعيين قد اكتسحوا منظمات الحزب، وجروها للانحراف. إن السوريين يعرفون اتجاهات عبد الكريم الجندي الحمراء، وأعمال قريبه خالد الجندي التعسفية وتشكيله محكمة التفتيش التي أخذت تعتقل المواطنين وتشرف على تعذيبهم.

وعندما سئل عن وقائع محاولته الانقلابية قال : الحقيقة أننا لم نلجأ الى الاساليب الانقلابية السابقة، ولكننا اغتنمنا فرصة وجود نور الدين الأتاسي واللواء صلاح جديد في السويداء وطلبنا منهم الافراج عن مئة ضابط من رفاقنا من ضباط الجبهة كانت السلطات قد اعتقلتهم دون مبرر، كما طلبنا منهم تصحيح الاوضاع والتخلص من العناصر الشيوعية، وقد احتجزناهما ريثما تنفذ هذه المطالب، واستضفت في دار والدي بالسويداء الدكتور نور الدين الأتاسي، وأضاف الأخ طلال أبو عسلي في داره اللواء صلاح جديد، ولقد تنصل الدكتور نور الدين الأتاسي من اعتقالهم، في حين وعد صلاح جديد بالافراج عن رفاقنا الضباط وإذاعة بيان عن ذلك فور وصوله إلى دمشق.

وفي صباح اليوم التالي تعهد الأتاسي وجديد أمام قادة حزب البعث في السويداء بالبر بوعودهما وسافر الأتاسي الى دمشق، ولما حاولنا الاتصال به لسؤاله عما فعل لتحقيق الوعد، كان الجواب الوحيد انه غير موجود، وفوجئنا بعد ساعات بالطائرات تحوم فوق السويداء، ووصلتنا معلومات بأن قوات مدرعة في طريقها إلينا لضربنا فلما استفسرنا من اللواء جديد الذي بقي عندنا، قال دعوني أذهب الى دمشق لانهي القضية فوافقنا ، فسافر الى دمشق ، ومن إذاعتها أذيع بيان بالهجوم علينا، ثم أنذرنا بتدمير وحرق السويداء بالصواريخ، وحقنا للدماء قررنا عدم المقاومة واللجوء الى الأردن كمرحلة نستعد فيها للعودة ثانية لاسقاط الحكم في دمشق»

وفي دمشق أصدرت القيادة القطرية بلاغا عن حادث السويداء جاء فيه : إن نفرا من المغامرين قام بتاريخ 1966/9/8 وعلى رأسهم سليم حاطوم بتدبير مكيدة دنيئة بمساعدة «نفر من الذين خانوا النضال الطبقي» وذكر البلاغ أسماء هلال رسلان وخالد الحكيم ونبيل شويرى بعد أن كال لهم مختلف النعوت.

أما الحقائق التي لم يكشف عنها حاطوم ولا بيان القيادة القطرية فهي ان سليم حاطوم كان قريبا من حافظ أسد في مواجهة نفوذ صلاح جديد، ولم يكن بتقدير حاطوم أن يوجه إليه حافظ الأسد إنذاره بتدمير السويداء إذا لم يكف عن محاولته، ولم يكن حاطوم مغفلا للدرجة التي لا يقدر فيها أن نجاح محاولته مرهون بموقف حافظ أسد.

وقد أشارت جريدة الحياة الى ذلك بتاريخ 66/11/13 اعتمادا على بعض المصادر البعثية التي صرحت «بأن حاطوم كان يعتمد على تأييد اللواء حافظ أسد في حركته، ولكن ذلك لم يتم وكان من أهم أسباب فشل الحركة». كما أشارت بتاريخ 66/11/17 استنادا للمصادر نفسها «أن حافظ أسد أبلغ حاطوم عن نية صلاح جديد لاقصائه عن الجيش، وأن جديد طلب من أسد الوقوف الى جانبه في عملية التصفية هذه إلا أن أسد أكد لحاطوم أنه لن يتخلى عنه، وطلب منه أن ينتبه لأية محاولة يمكن أن يقوم بها صلاح جديد».

وهكذا فإن حافظ أسد وجد فرصته

السانحة في عملية السويداء، فبعد أن قضى انقلاب 23 شباط على نفوذ مجموعة الضباط المناصرة لأمين الحافظ والقيادة القومية فإن التمرد في السويداء أتاح له التخلص من أحد أهم مراكز القوى التي كان يراها حائلا دون تحقيق أهدافه ، فقام بعدها، وبموافقة صلاح جديد الذي أنقذ حياته، وقبيل حرب حزيران ، بعملية تسريح ضخمة بين ضباط الجيش تناولت حوالي أربعين ضابطا، أضيفوا الى العدد الكبير الذين سرحوا منذ انقلاب الثامن من آذار تحت مختلف الذرائع.

لقد روعت سورية ودمشق بصورة خاصة، بعد أحداث السويداء مما دعاه النظام (بالكتائب العمالية المسلحة) التي كان يشرف عليها خالد الجندي المعين من قبل النظام رئيسا لاتحاد نقابات العمال، فقد تسلمت هذه الكتائب الاسلحة ونزلت الى الشوارع لتنفذ قرار منع التجول رافعة شعار تصفية أعداء الثورة، متجاوزة كل القوانين، ابنائها من وظائفهم.

وفي الوقت نفسه، ومن عمان حيث كان لاجئا إليها بعد أحداث السويداء، صرح خالد الحكيم رئيس اتحاد نقابات العمال، ان الكتائب المسلحة التي روعت المواطنين ليست من العمال بل من جنود اللواء سبعين، وعلى كل حال فإن تصرفات الكتائب المسلحة قد أقلقت سورية ويقال بأن زعين كان اول من عارضها وأيده صلاح جديد مما أدى الى إبعاد الجندي الى اللاذقية حيث كان من عمال المرفأ، وصدر بيان باسمه يعلن حل هذه الكتائب.

لم يمض وقت طويل على اختفاء فهد الشاعر بعد انكشاف تنظيمه ، حتى ألقى القبض عليه، وقام على تعذيبه مدير المخابرات عبد الكريم الجندي ويقال أنه أرغمه على المشي على يديه ورجليه كالحيوانات وركب معذبوه على ظهره، بالاضافة الى إلقائه في المياه القذرة.

أما سليم حاطوم فقد لقي مصرعه بعد عودته من عمان، إثر حرب الخامس من حزيران، لينضم إلى الجيش متصورا أن عودته لدمشق ستكون موضع ترحيب من قبل حافظ أسد، وان علاقته السابقة معه ستشفع له، ولكن ما إن وصل الى السويداء حتى ألقي القبض عليه وسيق الى دمشق ليتولى عبد الكرم الجندي تعذيبه والانتقام منه حيث دقت عظامه وكسرت أضلاعه.

إن الصورة التي تم بها تنفيذ الاعدام بسليم حاطوم، وبدر جمعة وغيره من الضباط العائدين من عمان كانت محزنة جدا فقد أطلقت عليهم النار بعد تعذيبهم أشد العذاب، وهم في حالة النزع الأخير.

هؤلاء حكموا سورية

عودة السّنونو المُهاجِرة

عبدالرزاق كنجو

بَينَ رَخيً وشد
إنفَلَقَ الجسمُ الى نصفينِ .
الى هُبابٍ ونِشارةٍ مِن حَطَبْ
على الجّذعِ النّابعِ من التّربَةِ النّازفَةِ
يَتَشبّثُ بأظافره « نَقّارُ الخشَبْ ».
لم يَعُد يَبحَثُ عن ديدانةِ
مُختَبِئةٍ تَحتَ اللِّحاءِ اليابسة .

ماتَتِ الأشجار قَهراً
قَطَّعُوها إرَباً
وبحُزنٍ وامتعاضٍ .. تَنتظر
إيداعها .. بل قذفها
في زنازين اللّهبْ ,
في فوهةِ التّنور
أو في جوفِ مدفأةٍ بّاردة .

عودُ الثِقابِ يَشتَعلْ , ويَنحَني ..
أو قَبَس مِن جَذوَةِ نائمةٍ
تُبكي دُخانَ المَداخِنِ الجّائعة .

عِندَها فقطْ
تَعُودُ أسراب السّنونو الضّائعة
تغفو طويلاً في جحور البُوم .. المهاجرة

وعندَها ... بَل قبلَها , أو بَعدَها
حفاةٌ عُراةٌ .. عائدون .
تسابقهم أبواق النّحاسِ اللاّمعة
وَحَشدٍ كبير من طبول ..
وأصداءُ لزغاريدٍ أبديّة

عطر زيتون

القميص المسروق

رفع رأسه إلى السماء المظلمة وهو يقاوم شتيمة كفر صغيرة أوشكت أن تنزلق عن لسانه، واستطاع أن يحس الغيوم السوداء تتزاحم كقطع البازلت، وتندمج ثم تتمزق.

إن هذا المطر لن ينتهي الليلة، هذا يعني انه لن ينام، بل سيظل منكبا على رفشه، يحفر طريقا تجر المياه الموحلة بعيدا عن أوتاد الخيمة، لقد أوشك ظهره أن يعتاد ضرب المطر البارد.. بل إن هذا البرد يعطيه شعورا لذيذا بالخدر.

انه يشم رائحة الدخان، لقد أشعلت زوجه النار لتخبز الطحين، كم يود لو انه ينتهي من هذا الخندق، فيدخل الخيمة، ويدس كفيه الباردتين في النار حتى الاحتراق، لا شك انه يستطيع ان يقبض على الشعلة بأصابعه، وان ينقلها من يد إلى أخرى حتى يذهب هذا الجليد عنهما.. ولكنه يخاف ان يدخل هذه الخيمة، ان في محاجر زوجه سؤالا رهيبا ما زال يقرع فيهما منذ زمن بعيد، لا، ان البرد اقل قسوة من السؤال الرهيب.ستقول له اذا ما دخل وهي تغرس كفيها في العجين، وتغرس عينيها في عيونه:هل وجدت عملا؟ماذا سنأكل اذن؟ كيف استطاع(ابو فلان) ان يشتغل هنا وكيف استطاع(ابو علنتان) ان يشتغل هناك؟ثم ستشير الى عبد الرحمن المكور في زاوية الخيمة كالقط الكبول، و ستهز رأسها بصمت ابلغ من الف الف عتاب.. ماذا عنده الليلة ليقول لها سوى ما يقوله في كل ليلة..

-هل تريدينني ان اسرق لا حل مشاكل عبد الرحمن؟ ونصب قامته بهدوء لاهث، ثم ما لبث ان عاد، فاتكأ على الرفش المكسور، وانشأ يحدق بالخيمة الداكنة مستشعرا قلقا عظيماوهو يسأل نفسه: - وماذا لو سرقت؟....ان مخازن وكالة الغوث الدولية تقع على مقربة من الخيام، ان قرر ان يبدأ فهو يستطيع بالتأكيد ان ينزلق الى حيث يتكدس الطحين والرز، من ثقب ما سيجده هنا او هناك، ثم ان المال ليس حلال احد، لقد اتى من هناك، من عند ناس قال عنهم استاذ المدرسة لعبد الرحمن انهم « يقتلون القتيل ويمشون في جنازته» فماذا يضر الناس لو انه سرق كيس طحين.. كيسين.. عشرة؟وماذا لو باع شيئا من هذا الطحين الى واحد من اولئك الذين يتمتعون بقدرة عظيمة على استنشاق روائح مسروقات، وبقدرة اعظم في المساومة على ثمنها؟ ولذت له الفكرة، فدأب بعزم اشد على اتمام حفر الخندق فيما حول الخيمة و اخذ يسأل نفسه من جديد ان لماذا لا يبدأ مغامرته منذ الآن؟ان المطر شديد والحارس مشغول بأمر البرد اكثر من انشغاله بمصلحة وكالة الغوث الدولية، فلماذا لا يبدأ الآن؟ لماذا؟

- ماذا تعمل يا أبا العبد؟ ورفع رأسه الى جهة الصوت، وميز شبح ابي سمير قادما من بين صفي الخيام المغروسة الى ما لا نهاية الظلمة..

-انني احفر طحينا.. / - تحفر ماذا؟

- احفر.. احفر.. خندقا.....وسمع ضحكة ابي سمير الرفيعة التي سرعان ما تلاشت في ثرثرته: - يبدو انك تفكر بالطحين، ان التوزيع سيتأخر الى ما بعد العشرة الايام الاولى من الشهر القادم، اي بعد خمسة عشر يوما تقريبا، فلا تفكر منذ الآن الا اذا كنت تنوي ان تستعير كيسا او كيسين من المخزن..

ورأى ذراع ابي سمير تشير باتجاه المخازن، ولمح على شفتيه السميكتين ظلا لابتسامة خبيثة، وشعر بصعوبة الموقف، فعاد يضرب الارض برفشه المكسور. - خد هذه السيكارة.. ولكن لا، انك لن تستفيد منها فالمطر مزعج.. لقد نسيت ان السماء تمطر، عقل من الطحين.. مثل الحجر..

واحس بضيق يأخذ بخناقه، انه يكره ابا سمير منذ زمن بعيد، هذا الثرثار الخبيث:

- ما الذي اخرجك في هذا المطر؟

- خرجت.. خرجت لاسألك ان كنت تريد المساعدة.

- لا.. شكرا../ -هل ستحفر طويلا؟

- معظم الليل.. / - لم اقل لك ان تحفر خندقك في النهار؟انك دائما تذهب الى حيث لا ادري وتترك الخيمة.. هل تذهب للبحث عن خاتم سليمان؟

- لا.. عن شغل..ورفع رأسه عن الرفش وهو يلهث.. - لماذا لا تذهب لتنام وتتركني وحدي؟

واقترب منه ابو سمير بهدوء جم ووضع كفّه يهزها ببطء وهو يقول بصوت مخنوق:

- اسمع يا ابا العبد، ان رأيت الآن كيس طحين يمشي من امامك فلا تذع الخبر لاحد!

- كيف؟ ..قالها ابو العبد وصدره ينبض بعنف، وشم رائحة التبغ من فم ابي سمير وهو يهمس وقد فتح عيونه على سعها:

- هناك اكياس طحين تمشي في الليل وتذهب الى هناك.. - الى اين؟ / - الى هناك....حاول ابو العبد ان يرى الى اين يشير ابو سمير ولكنه وجد ذراعيه مسدلتين على جنبيه، بينما سمع صوته يهمس ببحة عميقة: - ستأخذ نصيبك./- هل هناك ثقب تدخلون منه؟.. ورفع ابو سمير رأسه نافيا ومفرقعا لسانه بمرح، ثم همس بصوت نصف مبحوح: - ان اكياس الطحين تخرج لوحدها.. انها تمشي! / -انك مجنون .. - لا، بل انت مسكين.. اسمع، ولندخل في الموضوع مباشرة، ان ما علينا هو ان نخرج اكياس الطحين من المخزن ونذهب بها هناك، ان الحارس سيمهد لنا كل شيء كما يفعل دائما، ان الذي سيتولى البيع ليس انا، ولا انت، انه الموظف الامريكي الاشقر في الوكالة.. لا، لا تعجب، كل شيء يصبح جائزا ومعقولا بعد الاتفاق.الأمريكي يبيع، وأنا اقبض، والحارس يقبض.. وأنت تقبض، وكله بالاتفاق، فما رأيك؟

وشعر ابو العبد ان القضية اشد تعقيدا من سرقة كيس اوكيسين، اوعشرة، ورواده شعور لزج بالقرف من المعاملة مع هذا الانسان.. ثقيل الدم كما تعارفوا عليه في المخيم كله.. ولكنه في الوقت ذاته راقه ان يعود يوما الى خيمته وفي يده قميص جديد لعبد الرحمن، واغراض صغيرة لام العبد بعد هذا الحرمان الطويل، كم ستكون ابتسامتاهما جميلتين، ان ابتسامة عبد الرحمن، لوحدها، تستحق المغامرة لا شك، ولكنه لو فشل.. اي مصير اسود ينتظر ام العبد وولدها.. يومها سيحمل عبدالرحمن صندوق مسح الاحذية ليتكور في الشارع هازا رأسه الصغير فوق الاحذية الانيقة، يا للمصير الاسود، ولكنه لو نجح فسيبدو عبد الرحمن انسانا جديدا، وسيقتلع من عيون زوجه ذلك السؤال المخيف. لو نجح، فستنتهي مأساة الخندق في كل ليلة ممطرة، وسيعيش حيث لا يستطيع ان يتصور الآن..

- لماذا لا تترك هذا الخندق الملعون، لبدأ قبل ان تشرق الشمس؟ نعم لماذا لا يترك الخندق.. ان عبد الرحمن يلهث من البرد في طرف الخيمة، ويكاد يحس انفاسه تلفح جبينه البارد.. كم يود لو انه ينتشل عبد الرحمن من هزاله وخوفه، لقد اوشك المطر ان ينقطع، وبدأ القمر في السماء يمزق طريقا وعرا.. وابوسمير، ما زال واقفا امامه كالشبح الاسود، غارسا قدميه الكبيرتين في الوحل، رافعا ياقة معطفه العتيق الى ما فوق اذنيه، انه ما زال واقفا ينتظر، هذا الانسان الواقف امامه، يحمل معه قدرا جديدا غامضا، يساومه ليرفع معه الاكياس من المخزن، الى مكان ما، يأتيه الامريكي كل شهر ويقف امام اكوام الطحين يفرك راحتيه النظيفتين، ويضحك بعيون زرقاء كعيون قط يتحفز امام جحر فأر مسكين. - منذ متى وانت تتعامل مع هذا الحارس وذلك الموظف؟

- هل تريد ان تحقق معي ام تأخذ ثمن الطحين وتذهب لتشتري الشياطين؟اسمع ان هذا الامريكي صديقي، وهو انسان يحب العمل المنظم، انه يطلب مني دائما ان اضع الوقت بالمقدمة. وهو لا يحب التأخير في المواعيد.. علينا ان نبدأ الآن. اسرع.

و عاد يتصور الامريكي واقفا امام اكياس الطحين، يضحك بعيون زرقاء ضيقة ويفرك راحتيه النظيفتين بحبور وطمأنينة، فشعر بضيق غريب، وخطر له ان ذلك الامريكي كان يبيع الطحين في الوقت الذي كان يقول فيه لرجال المخيم ولنسائه ان توزيع الاغاثة سيتأجل الى نهاية الايام العشرة الاولى من الشهر، واحس بنقمة طاغية، هي صدى لاحساساته يوم كان يرجع من المخازن ليقول لزوجته بصوت كسير انهم اجلوا توزيع الطحين عشرة ايام، كم هي مؤلمة خيبة الامل التي كانت ترتسم في وجهها الاسمر المجهد، لقد كان يحس الغصة تتعلق بالف ذراع في حنجرته وهي تنظر بصمت مريع الى كيس الطحين الفارغ يتأرجح على ذراعه كالمشنوق.. لقد كانت تعني في نظرتها تلك ان عشرة ايام ستمضي قبل ان يجدوا طحينا للاكل. كان يبدو له ايضا ان عبد الرحمن يفهم الموقف تماما، لقد كان يكف عن طلب الاكل بالحاح..

في كل خيام قريةالنازحين كانت العيون المتلهفة تقع في خيبة الامل ذاتها، كان على كل طفل في المخيم ان ينتظر عشرة ايام ليأكل خبزا. هذا اذن هو سبب التأجيل، ابو سمير الواقف امامه كالشبح الاسود، غارسا قدميه في الطين قلقا لمصير مساوماته، هو والامريكي الذي يفرك راحتيه النظيفتين امام اكوام الطحين وهويضحك بعيون زرقاء ضيقة..

لم يدر كيف رفع الرفش الى ما فوق رأسه وكيف هوى به بعنف رهيب على رأس ابي سمير، وهويصيح في وجهها ان الطحين لن يتأجل توزيعه هذا الشهر..

كان لا يزال راغبا في ان يراه يبتسم لقميص جديد.. فأخذ يبكي..

غسان كنفاني

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر